يوتوبيا
عين تسنيم

مسرحية

الشخصيات

رجل الآثار

نارام: ويؤدي أيضاً أدوار:

- نارام سن ملك أكاد.
- نيرون إمبراطور روما
- النمرود الملك الآشوري

صوفيا : دكتورة في علم النفس الاجتماعي ومعالِجة نفسية.

نيرمين: وباسمها نفسه تؤدي أيضاً أدوار:

- نيرمين زوجة نارام سن
- نيرمين عشيقة نيرون
- نيرمين من بغايا المعبد

مسؤول التخطيط

المسؤول الاجتماعي

المارد

نارام هو الشخصية الرئيسية في المسرحية، في حوالي الخامسة والأربعين من عمره، وهذه الشخصية ستحمل ثلاثة مستويات زمنية:

الأول : نارام وقد أفاق من النوم بعد ألف سنة.

الثاني : نارام الحالي أي زمن كتابة أو عرض المسرحية قبل أن يستغرقه التنويم المغناطيسي، وإلى جانبه دفتر مذكراته يقرأ فيه أفكاره المتناثرة وتفاصيل حياتيةٍ يومية.

الثالث : نارام كرمز للإنسان عبر العصور، ويأخذ لبوس شخصيات تاريخية أو أسطورية قديمة.

* * *

نارام لديه القدرة على أن يعيش الزمن الحاضر، وأن يُبعث من الزمن الماضي، وأن يتخلّق في الزمن القابل.

نارام تختلط في حياته الأزمنة الثلاثة والأمكنة، وهو فوقهما، وحتى الموت فإنه ضرب من الوهم لا يدركه.

نيرمين شخصية نسائية ملازمة ومغايرة لنارام، ولها صفاته الزمانية والمكانية، وتشكل معه ثنائياً جدلياً يختصر الحياة.

الديكور بالرغم من أسسه الشرطية الواقعية فإنه يولي الجانب التعبيري أهمية خاصة ليوقع الأجواء العامة في شَرك الغموض الفني ورحابة الحلم وشفافيته.

- المشهد الأول-

(بقعة ضوء على رجل الآثار يتحدث في الهاتف يمين المسرح على خط المنظر).

رجل الآثار: ألو.. معكِ مديرية الآثار، عفواً دكتورة.. أعرف أنها عيادة نفسية ولكنَّ هنالك أمراً غريباً فعلاً، لقد وجدنا أثناء عملنا في بيت أثري قديم جداً وفي قرية دارسة رجلاً بهيئة غريبة وملابس قديمة.. لا.. ليس بميت، إنه حي، وتنفسه بطيء جداً، ونعتقَد أنه نائم وقد حاولنا إيقاظه فلم نستطع، لقد قدرنا أن هنالك شيئاً نفسياً في الأمر ولهذا اتصلنا بك دكتورة صوفيا.. عمره..؟.. هو رجل في حوالي الخامسة والأربعين.. حتى الآن لم نجد معه ما يثبت هويته، نقلناه مع محتويات غرفته إلى المشفى في غرفة خاصة في انتظار قدومك.. شكراً دكتورة.

- المشهد الثاني -

إضاءة على خشبة المسرح.

المكان غرفة في مشفى منتجع مطلة على حديقة، الغرفة مجهزة بأحدث الأثاث والتقنيات ووسائل الراحة.

نارام يمارس هوايته بإحدى الألعاب في حاسب صغير حديث جداً كالآيباد المطوّر، واللعبة تصدر بعض الأصوات الطبيعية الجميلة كزقزقة الطيور وتغريد البلابل أو موسيقى ناعمة.

تدخل الدكتورة صوفيا ضاحكة مرحة، وهي شابة جميلة جداً في الثلاثين من عمرها).

صوفيا : اليوم وجهك مشرق، أنت تستعيد صحتك والحمد لله.

نارام : هذا بفضلك دكتورة صوفيا.

صوفيا : هل أعجبك هذا الحاسب، إنه صغير ولكن إمكاناته كبيرة جداً وبالطبع هو موصول بالإنترنيت والفضاء.. هل هنالك من مشكلة ما؟

نارام : كلا.. حاولت الدخول إلى بعض المواقع فلم يستجب فرحت أتسلى بالألعاب فيه. ألا يوجد ألعاب أخرى في هذا الجهاز؟

صوفيا : ألعاب مثل ماذا؟ فيه أكثر من ثلاثمائة لعبة.

نارام : ألعاب مصارعة، ملاكمة، مبارزة بالسيوف، قتال بالمسدسات، ألعاب حرب.

صوفيا : كلا.. لا يوجد.. هذه أمور يرفضها المرء الذي يريد الراحة والسلام. ألا تعجبك الموسيقى وأصوات الطبيعة؟

نارام : تعجبني جداً، ولكنني لا أتصور جهازاً حديثاً مثل هذا يخلو من تلك الألعاب.

صوفيا : اسمع يا نارام. بين عصرنا وعصرك أكثر من ألف عام.. كل شيء مختلف الآن.

نارام : ألف عام! وما هذه العبارات: عصرنا وعصرك؟ لا أدري عمّ تتحدثين.

صوفيا : سأشرح لك الأمر، عليك أن تساعدني.

نارام : أنتم تخفون عني أشياء كثيرة. أنا هنا منذ فترة في هذا المشفى في غرفة منفردة ومعزول عن العالم الخارجي.

صوفيا : هذا منتجع وليس بمشفى فحسب، والكثيرون يحلمون في الإقامة فيه. هل تشكو من الخدمة هنا.

نارام : كلا.. الخدمة ممتازة جداً، ولكني سألتهم عن طبيبي النفسي الذي يعالجني فلم يجبني أحد. لا أدري كيف لا يعرفونه وهو أشهر أطباء النفس في المدينة.

صوفيا : هذا رائع، إذن كنت تُعالج نفسياً من مرض ما.

نارام : نعم، كنت مصاباً بالاكتئاب، فترددت على عيادة صديقي الدكتور أفرام، قال لي: الأمر خطير، هناك بوادر فصام في الشخصية.. ثم راح يعالجني في منزلي فهو جاري أيضاً وبيته قريب من بيتي. أوه ولكن لماذا أرهق أذنيك بهذا الحديث.

صوفيا : بالعكس أنا مهتمة جداً، تابع الحديث.

نارام : مسكين دكتور أفرام كان يصاب بين الحين والآخر بأزمات قلبية وينجو منها بصعوبة، قال لي بعد عدة جلسات معالجة: أريد أن أعرف كل شيء عن ماضيك، وسأقوم بتنويمك مغناطيسياً. وعلى الرغم من أنه كان في ذلك اليوم يحس بوخز في صدره وبوادر أزمة قلبية فقد أصر على تنويمي مغناطيسياً.

صوفيا : حسن، وبعد ذلك ماذا حدث؟

نارام : هذا آخر ما أتذكره، ثم وجدتك أمامي، وحين فتحت عيني خلت نفسي في الجنة وأنك واحدة من الحور العين.

صوفيا : **(تبتسم)** شكراً، ولكنك لست في الجنة ولستُ من الحور العين، وأنت الآن في مدينة عين تسنيم.

نارام : عين تسنيم..؟ لم أسمع باسمها من قبل، هل ما زلْت تحت تأثير التنويم؟

صوفيا : كلا.. أنت يقظ تماماً وقد وضح لنا كل شيء عنك.

عين تسنيم حقيقة موجودة مثلما أنت حقيقة ظاهرة للعيان.

لا شك أن طبيبك قام بتنويمك ثم أصيب بأزمة قلبية مفاجئة فتركك نائماً وذهب إلى مشفى الأمراض القلبية للعلاج، لكنه توفي في الطريق أو في المشفى وبقيت أنت نائماً حتى جئت أنا وأيقظتك.. طبعاً هذا احتمال.

نارام : هذا شيء لا يصدق.

صوفيا : قد تحدث أحياناً أمور خارجة عن الطبيعة، وفريدة من نوعها. أهل الكهف ناموا ثلاثمئة عام ويزيد ثم أفاقوا من نومهم، وعُزَير نام مئة عام ثم أفاق من نومه وطعامه بجانبه لم يفسد ورأى حماره قد مات ولم يبق منه غير عظامه، ثم اكتست أمامه عظام الحمار لحماً وجلداً وشعراً وعاد حياً.

النوم يا عزيزي هو نوع من الموت، وهنالك أبحاث مستمرة منذ عصركم على تجميد الإنسان وإيقاظه بعد فترة طويلة.

نارام : وكم بقيت نائماً؟

صوفيا : هنا المشكلة وقد لا تصدق.

نارام : وما الداعي لفتاة جميلة عالمة أنقذتني مما أنا فيه أن تكذب عليّ؟

صوفيا : قد يصدمك ما أقول. إنها حالة فريدة من نوعها.

نارام : لن يصدمني أكثر مما شهدَته عيناي من محن ومصائب في حياتي.

صوفيا : لقد بقيت نائماً حوالي ألف عام يا نارام.

نارام : **(ذاهلاً)** ألف عام..! غير معقول..! وكيف عرفت؟

صوفيا : قرأت صفحات من دفتر مذكراتك، كما أننا شكلنا لجنة لفحص ودراسة آثارك في البيت الذي وجدناك فيه.

نارام : إنه بيتي وكان الطبيب بحكم صداقتنا يأتي إلي ويعالجني فيه. ولكن أين هي حاجياتي؟

صوفيا : هذه هي حاجياتك التي وجدناها معك لم ينقص منها شيء.

(تسلمه علبة فيها أغراضه).

نارام : **(يستعرض أغراضه)** نعم هذه ساعتي، وهذه كاميرتي، وهذا هو هاتفي المحمول، وهذه هي النقود التي كانت معي لا أدري إن كانت تُصرف هنا؟

صوفيا : دعك منها إنك لن تحتاج إليها.

نارام : آه.. هذه صورة زوجتي التي توفيت وهي شابة **(تنعكس صورتها على الشاشة، إنها تشبه صوفيا جداً)** كنت أحبها بجنون، الطبيب يؤكد أن حزني عليها أثّر في صحتي.. أوه.. إنها تشبهك تماماً.. كأنكما توأم، هذا عجيب.

صوفيا : فعلاً هي تشبهني **(تضع أمامه علبة دواء)** يبدو أنك كنت تعاني من آلام في الكليتين.

نارام : نعم، هذا صحيح.

صوفيا : لن تحتاج إليه هنا، نحن نعالج هذه الأمراض بالأشعة. وجدنا على طاولتك فنجانين من القهوة لم يُرتشف منهما إلا رشفة واحدة أو اثنتين. حتى قهوتك لم تفسد **(مازحة)** هل تريد أن تكمل شربها، لكنها باردة.

نارام : كان الدكتور أفرام عندما يزورني في بيتي للعلاج يحب أن يشرب القهوة أولاً، وفي ذلك اليوم بدأ بتنويمي قبل أن يكمل قهوته.

صوفيا : **(تبتسم)** يبدو أن طبيبك كان صاحب مزاج.

نارام : نعم.. وهل سأبقى طويلاً هنا؟

صوفيا : كلا.. أنت الآن في فترة تأهيل واستكمال العلاج الذي بدأه طبيبك أفرام.

نارام : **(مازحاً)** عدا التنويم المغناطيسي أيتها الملاك.

صوفيا : لن يكون هنالك تنويم مغناطيسي، هذه طريقة عتيقة في العلاج، كما أن العلاج اليوم لا يشعر المرء فيه بأنه تحت العلاج، إنها طرق حديثة جداً، رياضية فيزيائية وتتعلق أيضاً بحسابات فلكية خاصة. لقد وصلنا إلى أسرار مذهلة في النفس وعلاقاتها مع الأجرام والأجسام الكونية والأرواح الكلية والأنوار القاهرة في الكون.

نارام : هل لديكم مرضى على شاكلتي كثيرون؟

صوفيا : مثل هذه الأمراض انقرضت مع تغير البنى الاجتماعية وانعدام المشكلات الاجتماعية وزوال المنغصات والمحبطات للإنسان، وتحقيق السعادة المطلقة لجميع المواطنين.

نارام : اعذريني.. إذن ما ضرورة وجود أطباء نفسيين مثلك في مثل هذا المجتمع؟

صوفيا : الأطباء النفسيون يعالجون الناس هنا من تأثيرات فرط الراحة والسعادة والطمأنينة، أغلب عملهم ينحصر في إثارة بعض القلق والحزن في النفوس.

نارام : ما أسمعه أمر غريب فعلاً. كنت أظن أن ضغط الحياة على الإنسان، وما يصيب نفسه من خلل، وحده يستدعي الذهاب إلى الطبيب.

صوفيا : لا بد من استكمال جدلية الحياة في مختلف جوانبها ومجالاتها لاستمرار الوجود الإنساني. إن بعض القلق والحزن والألم وغيرها من الوجه المعتم للحياة هو ضروري لتحقيق الجدلية واستمرار بحث الإنسان عن سعادته وفردوسه، فالسعادة هي في ركوب الطريق إليها وليس في الوصول إلى نهاية الطريق، فالنهايات دائماً تحمل السأم والضجر والملل، وبها تفقد الحياة بريقها ونبضها.

نارام : **(مازحاً)** أخشى أن تكون الجنة الوارفة وملذاتها والحور العين غداً مبعثاً للسأم والضجر.

صوفيا : لديك روح مرحة يا نارام. بالمناسبة هذا هو دفتر مذكراتك، آسفة لأنني اطلعت عليه، لكن ذلك كان ضرورياً.

نارام : لا عليك **(يتناول الدفتر منها ويفتحه ليقرأ فيه).**

(إظلام)

- المشهد الثالث -

(تضاء شاشة لعرض الشرائح الضوئية (السلايتات) على المسرح وينعكس عليها صفحات متتالية من المذكرات).

صوت نارام: (يقرأ الكلمات المنعكسة على الشاشة ويمكن أن يكون الصوت تسجيلياً، وكلما أنهى نارام قراءة مقطع قلبت الصفحة تلقائياً وفتحت على مقطع جديد من المذكرات، وإذا كانت الشاشة مشغولة بعرض مشهد مصاحب فإنه يتم قلب الصفحة في مربع في أعلى ويسار الشاشة).

الجمعة ٢٠١٤/٦/٦

– منذ سنوات لم أعد أحتفل بعيد ميلادي، حتى زوجتي الميتة نيرمين نسيت أن تزورني في الحلم وتقول لي كل عام وأنت بخير.

(تنعكس على الشاشة صورة الأب المقعد وهو في الثمانين من عمره في هيئة مُزرية يقرأ في المصحف، تتم مزاوجة الصورة بصفحة جديدة وصوت نارام يقرأ).

- في مثل هذا اليوم توفي والدي وقد بقي مقعداً في داري ثماني سنوات، لا أدري لمِ يَذكّرني بشخصيتَيْ ناج ونل في مسرحية لعبة النهاية لبيكيت.. إنها لعنة السن العتية.

(تنعكس على الشاشة شخصيتا ناج ونل في مسرحية بيكيت وكل منهما يمد رأسه من برميل حشر جسمه فيه وهو بالأصل مخصص للقمامة، وتقلب صفحة جديدة).

- تمر ذكرى نكسة حزيران باهتة وليس من يذكرها فنحن اليوم في نكسة أكبر ومصيبة أعظم، والأمة اليوم محشورة، حالها اليوم كحال ناج ونل، وهام وكلوف(*).

الأربعاء ٢٠١٤/٧/٨

(تنعكس على الشاشة لوحة مرسومة بالطريقة التعبيرية تمثل مدينة محاصرة بالغيوم السوداء والتماعات الصواعق وأشباح الناس المتعبين تتوزع في طرقاتها، وتقلب صفحة أخرى).

- حاولت الحصول على رغيفين وبضع حبات من البندورة ففشلت، المدينة محاصرة وهي بلا ماء ولا كهرباء ولا حليب للأطفال.. هذا يذكرني بهمجية حصار المدن في التاريخ المتوحش القديم. **(يتابع القراءة).**

(*) شخصيات مسرحية لعبة النهاية لبيكيت.

هل سمعت بالمعبر؟ إنه يفصل بين شطري مدينة واحدة أكلتها الحرب، وفي المعبر يلتقي أفراد العائلة الواحدة الموزعة على شطري المدينة، وفي المعبر تتم عمليات البيع والشراء المختلطة بالدماء حيث لا يسلم الناس من رصاص القناصين وهجمات الذئاب البشرية.

(تُقلب صفحة جديدة).

- الإنسان كلما تقدم في العلوم والتكنولوجيا ازداد وحشية وعاد إلى عصر الفتوحات الهمجية بأشكال جديدة وأنيقة، وفقد روابطه الإنسانية، وأصبح مصاباً بجفاف الأعصاب لا يحس بآلام الآخرين

(تقلب صفحة جديدة).

مع نشوء الدولة بدأ الطغيان، وأول إمبراطورية في التاريخ إمبراطورية أكاد في وادي الرافدين قامت على الدم والتدمير وإشعال الحرائق في المدن الآمنة.

(تظلم شاشة العرض).

- المشهد الرابع-

ملك أكاد حزين ووحيد

(تتغير الإضاءة لتدل على العودة إلى زمن تاريخي معين في الحوار، وتصبح إضاءة خفيفة وشاحبة ، ويمكن استعمال ستارة من الموسلين الرقيق الشفاف بحيث تبدو الشخصيات مثل أطياف.

يدخل نارام ويتناول من المشجب ثياب نارام سن ملك أكاد ويرتديها.

نارام سن يجلس على العرش ثم ينزلق عنه ليجلس على الأرض حزيناً محتبياً يخفي رأسه بين كفيه، وتاجه مرميٌّ على الأرض بجانبه، والشخصية هنا تتمثل شخصية نارام سن الفاتح الأكادي (٢٢٦٠-٢٢٢٣ ق.م) تدخل نيرمين.

نيرمين : نارام أنت اليوم حزين ووحيد، ماذا أصنع لأدخل السرور إلى قلبك؟

نارام : أنا لست نارام الذي تتصورين، أنا نارام سِن(*) ملك أكاد.. لماذا تريدين إهانتي يا نيرمين؟

نيرمين : حسن، نارام سِن ملك أكاد وفاتح العالم يجلس وحيداً وحزيناً..! أنا لست أقصد إهانتك.

نارام : دعيني نيرمين لأحزاني.. لقد تخلى إلهي «سن» عني، كل شيء هباء.. كل شيء هالك.. عبث هي الحياة.

نيرمين : هل صرت كاهناً أم فيلسوفاً يا رجل السيف والدم؟ قل لي ماذا حدث لمؤسس أول إمبراطورية في التاريخ.

نارام : تعلمين يا نيرمين أنه قديماً لم يكن بقدرة ملك من الملوك أن يكتسح أرمان وإبلا. وقد شق «نركال» الإله لي طريقاً وأعطاني «أرمان» و «إبلا»(**).

(*) سن إله القمر.

(**) رقيم أكادي، وأرمان هي مدينة حلب، وإيبلا عاصمة مملكة قوية تم اكتشاف موقعها حديثاً من قبل بعثة آثارية إيطالية و تقع قرب حلب.

نيرمين : نعم أعلم ذلك.

نارام : وأنني حاربت العيلاميين في إيران ودخلت عاصمتهم سوسة وانتصرت عليهم.

نيرمين : أجل، وكان انتصاراً عظيماً.

نارام : وأنني حاربت اللولوبيين في جبال زاغروس وضممتهم إلى مملكة أكاد.

نيرمين : نعم أعلم ذلك وما كان لملك أن يتسلق الجبال العالية ويصل إلى هناك.

نارام : وتعلمين أنني أعدت فتح الممالك التي فتحها جدي بعد أن تمرَّدت على أكاد وانفصلت، وأنني قمت بأعمال عمرانية واسعة ونظمت الحياة الاجتماعية في البلاد وسرت على القوانين الموحدة التي نشرها جدي سرجون وجعلت اللغة الأكادية لغة رسمية في جميع البلاد.

نيرمين : أنت قمت بأعمال عظيمة حقاً.

نارام : ولأنني فعلت كل ذلك فقد نحت لي المثّالون مسلة سجلوا فيها انتصاراتي ونصبتها هناك فوق رأس جبل شاهق.

نيرمين : هذا يجب أن يجعلك فخوراً وسعيداً فلماذا أنت يائس وحزين يا نارام ؟

نارام : اليوم تثور عليّ سومر، وينحدر من الجبال الشرقية أقوام من الهمج هم الكوتيون(*) يدمرون المدن الجميلة التي أنشأْتها، ويلحقون الهزائم بجيشي، إنهم أقوياء جداً، وهم كالجراد يقتلون ويحرقون ويأكلون الزرع والضرع، ويتركون الأراضي خلفهم صحراء مجدبة، ويعيثون في الأرض فساداً. **(نيرمين صامتة)** هل يستحق نارام سن ملك الملوك أن يلقى مصيراً كهذا؟ **(نيرمين صامتة)** ألم أُذِلَّ الملوك وأُخضع الشعوب، وأفتح المدن المسوّرة وأحرقها؟ لماذا يتخلى نركال الإله عني اليوم؟ **(نيرمين صامتة)** لماذا أنت صامتة يا نيرمين؟ **(تستمر في صمتها)** تكلمي يا نيرمين.. تكلمي يا زوجتي وحبيبتي، حديثك يمنح نفسي الراحة ويمد قلبي بالنور، تكلمي. **(صمت)**.

ملك أكاد يرجوك أن تتكلمي حتى ولو كان في كلامك لوم أو عتاب، وما أظن ذلك، فما أعطيتك لم يعطه أي ملك لحبيبته.

نيرمين : يا نارام..

(*) الكوتيون أو الكاشيون هم سكان الجبال الشرقية في وادي الرافدين ويعتقد أنهم الأكراد الأوائل.

أنت حزين لأن الكوتيين انحدروا من الجبال ودمروا بعض المدن والقرى في مملكة أكاد، وعاثوا فيها فساداً.

تُرى هل يحزن الملك على ما أصاب شعبه وأن شعب هذه القرى قد قتِّل وهجِّر وتشرد، أم يحزن لأن هيبته قد زعزعت، وخسر بعض المعارك؟

يا نارام..

أنت غزوت ممالك مسالمة، ودمرت بلاداً يعيش فيها الناس في أمن واطمئنان: التاجر يقبل امرأته وأولاده ويذهب في الصباح إلى متجره، والفلاح يأخذ محراثه ويذهب إلى حقله، والعامل يأخذ صرة الطعام التي أعدتها زوجته ويحملها معه إلى عمله، والأم ترضع طفلها وتغني له.. كل ذلك أنت دمَّرته وبددته فأيتمت الأطفال، ورمَّلت النساء، وقتلت الرجال، وتركت الشيوخ بلا أبناء يعينونهم على الحياة.

أنت دمرت أرمان وإيبلا ومدناً أخرى كثيرة وأحرقتها وفجعت أهلها، وكل ذلك لترضي طموحك للعظمة وغرورك، واستعراض قوتك الطاغية وشهوتك الغريزية للمُلك والتملُّك.

لماذا لا تسمي أعمالك هذه إفساداً في الأرض؟ ولماذا لا تريد أن تفهم بأن الملك القوي هو الذي يمنح الشعوب التي يحكمها القوة والعزة والأمن ويكون خادماً في تأمين حاجاتها وتحقيق سعادتها؟

يا نارام..

أنا أعلم بأنك تحبني، ولكنني لا أملك أن أحبك. أنا ابنة «أَرْمان»، وأنت الذي قتلت أهلي واستعبدت شعبي، وأجبرت أبي «ريد حدد»(*) ملك أرمان على أن يدير دولاب الماء كما تفعل البغال.

ما هكذا تعامل الملوك يا نارام..!

نارام : لم يتكلم أحد معي بمثل هذه الجرأة والصدق، ولأن قلب المحب كبير فإنني أغفر لك ذلك. أنا أعلم أنك كنت كاهنة معبد حدد، فانظري في السماء واستشرفي لي الغد وكوني صادقة.

نيرمين : **(تنظر إلى البعيد مستشرفة الغيب).**

إني أرى، وأرجو ألا يحدث ذلك، بأن سومر ستعود قوية كما كانت، وأن الكوتيين سيقوى أمرهم.. إني أراهم يسيطرون على البلاد ويعيثون فيها فساداً وتدميراً حتى تزول مملكة أكاد..

لا أدري أيكون ذلك في عهدك أم في عهد أبنائك وأحفادك؟

وستعلو النيران من بابل، وتبسط جناحيها على البلاد.

(*) **حدد:** أحد أسماء بعل، وهو إله حلب، ومختص بالرعود والأمطار، ومعبده مكتشف في قلعة حلب. وريد حدد هو ملك حلب (أرمان اسمها أيام الأكاديين).

ثم يأتي بعدهم أقوام وأقوام، وتكثر الفتن والحروب، وتُسفك الدماء، حتى يجري نهراها المقدسان بالنجيع الأحمر.

اغفر لي جرأتي يا سيدي.

ولكن مجد أكاد في أفول

وتلك هي سنة الحياة وعقوبة الطغيان أيها الملك.

(إظلام)

- المشهد الخامس -

(إضاءة.

المكان : الغرفة نفسها في المشفى المنتجع، نارام يقوم ببعض التمرينات لاستعادة لياقته البدنية. تدخل صوفيا ومعها مسؤول التخطيط).

صوفيا : جئت ومعي مسؤول التخطيط في البلاد، وهو أعلى رجل مسؤول فيها.

مسؤول التخطيط: صباح الخير سيد نارام.

نارام : صباح الخير، هل أفهم من ذلك أنك والي هذه المدينة أو ملكها؟

مسؤول التخطيط: كلا.. لست الوالي ولا الملك، أنا مجرد خادم للناس في عملي.

نارام : لم أفهم! الدكتورة صوفيا تقول بأنك أعلى رجل مسؤول في المدينة وأنت تقول: إنك مجرد خادم للناس!

صوفيا : يا نارام في عين تسنيم لا يوجد ملك ولا رئيس ولا وزير ولا محافظ أو والٍ.

نارام : من رأس الدولة إذن؟

صوفيا : لا توجد دولة أصلاً. لقد ألغينا فكرة الحكومة المركزية في مجتمع عين تسنيم المثالي، وحققنا تقدماً بنيوياً حقيقياً يعتبر أن الحكومة غير ضرورية فالحكومات ليست سوى آلات للطغيان، وعندما ينتهي الطغيان لا تبقى هناك حاجة إلى مثل هذه الآلات.

نارام : ماذا..!؟ إنها الفوضى إذن، كيف تسير الأمور في البلاد؟ **(في ابتسامة ساخرة من الفكرة)** اشرح لي يا مسؤول التخطيط.

مسؤول التخطيط: في عين تسنيم لا توجد دولة، لقد انتهينا من هذه المرحلة وتجاوزناها، وإنما هنالك مؤسسات تعمل وتُسيّر تسييراً ذاتياً، يشرف عليها خُدام اختصاصيون. لقد تخلصنا من مصطلح مدير ورئيس إلى مصطلح خادم، فهنالك مثلاً مؤسسة للثقافة ينسِّق ويشرف عليها خادم الثقافة، وأخرى للتعليم وثالثة اجتماعية ورابعة للعمل.. وهكذا.. ولكل مؤسسة هيئة إدارية تقترح وتخطط وتراقب سير العمل فيها.

نارام : وأنت ما دورك هنا؟

مسؤول التخطيط: أنا المسؤول العام عن التنسيق والتخطيط بين هذه المؤسسات.

نارام : أهلاً بك، بدأت الأمور تتضح لي.

مسؤول التخطيط: لدينا في كل مؤسسة عقل إلكتروني ضخم يحصي ويتابع ويجمع المعلومات ويخزِّنها ويناقشها ثم يعرضها فإذا كان هنالك أي تقدم أو تقصير فإنه يظهره مباشرة. وهذه العقول مرتبطة مباشرة بعقل إلكتروني ضخم جداً موجود في المركز العام للتخطيط حيث أكون أنا مع جماعة الفكر والعمل لديَّ في الخدمة الدائمة.

صوفيا : هذه التجربة نحن قمنا بتصديرها إلى دول الجوار.

نارام : ولكن إذا كان هنالك أي تقصير أو خلل أو إساءة كيف يعاقب صاحبه؟ لا شك أن هنالك شرطة وقضاة ومحاكم وسجون وعقوبات.

مسؤول التخطيط: لا يوجد لدينا شرطة، إنهم أداة للرشوة والفساد، ما من أحد عندنا يخالف النظام، أما المحاكم فأغلقناها لعدم وجود دعاوى، فقد علاها الغبار وعشش فيها العنكبوت، وبالتالي فقد أغلقنا السجون أيضاً.

صوفيا : أنت لم تزل لم تستوعب حجم المتغيرات في مجتمعنا.

نارام : مجتمعكم..؟ أنا مندهش حتى علم النفس والمعالجة النفسية تعمل في مجتمعكم بالمقلوب. حورية جميلة مثلك البدر في تمامه، وديعة وذكية ثم تكون مهمتها في المعالجة إثارة الحزن والخوف والقلق لدى مرضاها.. أمر عجيب..!

صوفيا : **(تبتسم)** هل تدلي برأيك أم تتغزل بي؟

بالنسبة لك فأنا معك مختلفة، لقد حضرت اليوم مع مسؤول التخطيط لأكون جاهزة حين تشعر بالصدمة لما يشرحه لك.

مسؤول التخطيط: اسمع يا سيد نارام، لقد قرأنا تاريخكم بعناية ووجدنا أن من أهم أسباب الفساد والطغيان وغياب العدالة هو وجود الجيش والشرطة والمحاكم وقضاتها المرتشين، وفروع الأمن، والسجون؛ ولهذا فإننا ألغينا هذه المؤسسات الزائفة واستعضنا عنها بوحدات التسيير الذاتي الإلكتروني التي لا تعرف الرشوة ولا القتل ولا قهر المواطن.

باختصار حينما توجد الدولة يوجد الطغيان، ولهذا ألغينا ما تعبدونه في مجتمعاتكم وهو الحاكم الذي ألَّهتموه والدولة.

نارام : حسن، يمكن أن أقبل ببعض ما ذكرت، أما الجيش فمن يحمي بلدكم إذا ألغيتم الجيش وهاجمكم أحد.

مسؤول التخطيط: لقد وجدنا أن أغلب الجيوش تستعمل لقهر شعوبها أو الشعوب الأخرى فألغيناه، ونحن كما قلت

نصدر تجربتنا هذه إلى الآخرين، وجميع جيراننا أخذوا هذه الفلسفة مع جوانبها التطبيقية؛ فهم مسالمون.

نارام : ومن قبيل الاحتياط، إذا حدث خطر مفاجئ لم يكن في الحسبان؟

مسؤول التخطيط: إذا حدث ذلك وهذا غير متوقع فإن لدينا وسائط أخرى للدفاع عن وجودنا غير الجيش، وهي أكثر فعالية وتأثيراً، وبالطبع فهي سرية تماماً.

نارام : تقصد حرب النجوم؟

مسؤول التخطيط: كلا.. هي سرية جداً. أما النجوم فهي مجال ارتيادنا واكتشافنا. لقد أرسلنا مركبات فضائية ضخمة إلى كواكب في مجموعات شمسية مجاورة نعتقد أنها صالحة للحياة.

نارام : وهل هي مركبات مأهولة.

مسؤول التخطيط: مأهولة طبعاً، إنها بمثابة بلدات صغيرة متنقلة، وهذا المشروع يرتكز على مبادئ تنمية مستديمة حيث تضم السفينة ذات الاكتفاء الذاتي مواد عضوية كالطحالب، وتربة صناعية تحوي مواد عضوية وتعتمد على الطاقة الشمسية لإنتاج ما تحتاجه من الأطعمة والوقود الحي.

نارام : أليس هذا إغراب في الخيال؟

مسؤول التخطيط: وهل كان ارتيادكم للقمر والمريخ وغيرهما من الكواكب عملاً علمياً أم ضرباً من الخيال؟

نارام: وهل تسير هذه المدن السابحة في الفضاء بسرعة الضوء؟

مسؤول التخطيط: ليس من الضروري ذلك، إنها رحلات بطيئة مادامت أسباب الحياة متوفرة داخل السفينة، وبما أن الرحلة عبر النجوم هي على فترات وقد تمتد حوالي ألف سنة فإن على السفينة أن تجد لها موارد في مواقع في الفضاء خارج الأرض.

نارام : هذا أمر يفوق منطقي وتصوراتي، وعلى ذكر الفضاء ألديكم مؤسسة إعلامية ومحطات فضائية وكيف تعمل؟

مسؤول التخطيط: لدينا الفضاء كله، لقد وجدنا أن أنظمة الإعلام لديكم كانت في خدمة السلطة والأحزاب الحاكمة، أو في خدمة المتمردين عليها، وأنها كانت السبب في تشويه الحقائق وإشعال الفتن والحروب وسيادة الفكر الظلماني، رغم ما فيها من فوائد معرفية وعلمية وفنية لا نستطيع أن ننكرها.

نحن لدينا الفضاء كله، ولدى المواطن عندنا أجهزة تنقله إلى أجواز الفضاء متقصياً أخبار الكواكب بالإضافة إلى أخبار جميع البلاد والشعوب على وجه الأرض، كما أن لها برامجها الفكرية والتعليمية والترفيهية، وهي مؤسسة ذات تسيير ذاتي غير تابعة لأية سلطة.

صوفيا : الإعلام والبرامج الفضائية عندنا تشاركية تفاعلية، يستطيع أي مواطن الحوار والتدخل في الحدث ليكون جزءاً منه، مثل المسرح التفاعلي الذي يكون فيه الجمهور جزءاً من مجموعة العمل على الخشبة.

نارام : دكتورة ألا يمكن لوسائطكم التقنية المذهلة أن تعيدني إلى مجتمعي الأول ؟

صوفيا : كلا.. هذا أمر مستحيل.. ذلك زمن انقضى وفات.

مسؤول التخطيط: (مبتسماً) إلا في أفلام الخيال العلمي، ولا أحسب أنك تؤمن بهذه الأفلام كحقيقة وواقع، وآلة الزمن لم يتم اختراعها بعد، مثلما المادة العضوية الحية التي تولد منها الحياة.. هذه من اختصاص الإله وليس البشر.

نارام : وهل تتوقعان أنني يمكن أن أعيش في مجتمعكم هذا؟

صوفيا : ولم لا؟

نارام : ستكون حياة سهلة وتافهة ومملة. وإن كثيراً من حالات الانتحار يكون السبب فيها السأم والملل أو حرارة الصيف المرتفعة أو الضجيج الصوتي، عدا عن الأسباب المعروفة.

(إظلام)

- المشهد السادس -

(إضاءة

نارام يتناول دفتر مذكراته ليقرأ فيه، تضاء شاشة عرض الشرائح الضوئية وتنعكس عليها مشاهد تجمع الناس حول منهل ماء رجال ونساء وأطفال يحملون أوعية الماء المختلفة وهم مرهقون تحت حرارة الشمس اللاهبة، ويفضل أن يكون الرسم بالأسلوب التعبيري، وتنعكس على الشاشة صفحات من مذكرات نارام يقرؤها بصوته، وصوت نارام يمكن أن يكون تسجيلياً).

صوت نارام:

السبت ٢٠١٤/٨/٢٣

- اليوم الخامس والعشرون والمياه مقطوعة عن المدينة، الناس يتجمعون بالمئات تحت لهيب الشمس أمام الآبار الملوثة التي لا تصلح للشرب حاملين أوانيهم.

إنها حرب الإخوة والغرباء والفتنة بينهم، وإنه حصار المدن في التاريخ الحديث، وإنه رمضان: صيام وعطش وجوع ولعنة الدم.

(تُقلب صفحة جديدة)

- عندما يتجرد الإنسان من مكوناته الإنسانية لا يبقى منه غير فرث ودم وغائط وما يتغذى به الدود في القبر.

الثلاثاء ٢٠١٥/٦/٩

(صور متتالية لقرى طينية مدمرة ومهجورة: بيوت وقبب، خالية تماماً من السكان وحتى الطريق ليس فيه كائن حي. تنطبع الكلمات على الشاشة).

- لا شيء غير صمت المقابر على الطريق الصحراوي، والوحشة، والتوجس.

مئات القرى الطينية مهجورة أو لحقها الخراب، وخلت من سكانها. كنت أتمنى في هذه الوحشة والصمت المطبق أن أرى قطة تسير أو كائناً ذا حياة.

إنها الحرب التي لا تبقي ولا تذر ولا ترحم.

الخميس ٢٠١٥/٦/١١

(تقلب صفحة جديدة)

- لأنني مدعو إلى التكريم فقد حجزوا لي غرفة في أفخم فندق في المدينة. أجال ولدي النظر بين رواد الفندق الذين ينثرون النقود بلا وازع وبين فواتير الطعام الباهظة وهو الذي لا يتجاوز راتبه الغذائي صندويشة بطاطا في اليوم وتمتم: يا للكارثة!

عقبت وقلت: منذ زمن طويل وأنا أقول: هذه البلاد مآلها إلى الخراب.

(يستمر عرض صور القرى البلقع وتتتالى صور أحياء خالية وبيوت مهدمة في مدن مهجورة من السكان، وتقلب صفحة جديدة).

- هذه القرية كانت آمنة مطمئنة يأتي أغنياءَها رزقُهم رغداً، وكانت العاصمة الاقتصادية للبلاد، وكان الأثرياء من التجار والصناعيين والمسؤولين يزمِّكون بلاط بيوتهم بخيوط الذهب، أما الفقراء فلا يجدون فيها كفاف عيشهم إلا بشق الأنفس..

ثم .. ثم اندلعت فيها الحرائق.

(مشاهد متتالية لأرصفة مزدحمة بالمارة تنتشر فيها الشحاذات وبسطات البيع، وتقلب صفحة جديدة).

- على الرصيف أم تفترش الأرض وهي تحمل لافتة صغيرة: عندي خمس بنات ولا معيل لهن. وعلى خطوات أخرى امرأة مرضعة مع أطفالها ولافتة: لا أسألكم غير لقمة الأطفال وحليب الصغير.

الطريق طويل والرصيف لم يعد مسلكاً للعابرين وإنما للمستَجْدين رغيف عيشهم ولأصحاب البسطات.

(صورة لمذنب في السماء، وتقلب صفحة جديدة).

- عندما ظهر المذنب هالي وضرب بذيله الجمدي الأرض غمر الثلج والصقيع المدن، ويبست أشجار الزيتون المعمِّرة، ثم ما لبثت الحرب العالمية أن اندلعت.

وعندما ظهر المذنب المعبود وذيله الناري المنضود، اندلعت الفتن والحروب، وانتقض أساس البيت وتداعت جدرانه، فوق سكانه.

(تقلب صفحة جديدة وصورة لبيت مهدم ويستمر صوت نارام في قراءة المذكرات على الشاشة).

- واحدة من قذائف جهنم دمرت لي بيتي وكسرت رجلي، وبقيت في الجبس والمعالجة ستة أشهر، ويسألني الناس كيف حالك فيجيب لساني عني: الحمد لله، في خير حال.

بيني وبين لساني حاجز.. بيني وبين نفسي حاجز.. بيني وبين الناس جدران تحجزني عنهم.. بين المرء وزوجه جدار من الإسمنت المسلح.. والحواجز الجباة في الطرقات سبب بلائنا.

وبيني وبين الله حجاب

اللغة حاجز.. العبارات المحفورة حواجز.. الشعارات البلهاء المتداولة حواجز ..

ويل لأمة مصابة بالفصام الفكري والنفسي ويعيش أفرادها في غباء بين جميع هذه الحواجز.

ويل لمن يغتال وطنه، ويبقر بطن أمه، ثم يجلس على قارعة الطريق يبكي عليها ويستجدي الناس.

(تظلم شاشة العرض).

- المشهد السابع -

نيرون يكتب قصيدة رثاء

(تتغير الإضاءة لتدل على العودة إلى زمن تاريخي معين في الحوار وتصبح إضاءة خفيفة وشاحبة جداً، والشخصيات تعمل من وراء الستارة الشفافة فتبدو كأطياف.

على الشاشة روما تحترق، ألسنة النيران والدخان تتصاعد من كل مكان. السكان في روما الخلفية –روما الفقراء– يهربون من النيران حاملين أولادهم وأمتعتهم، ومنهم من يدفع أمامه على كرسي مدولب والده أو والدته أو جده.

أصوات استغاثات وبكاء وصيحات وضجيج. ومن الواضح أن النيران تندلع في الأحياء الفقيرة فتأكلها أما أحياء النبلاء فهي سليمة ويجب أن يظهر ذلك على الشاشة في المشهد.

وراء الستارة الشفافة نارام يتقدم ويتناول من على المشجب ثياب نيرون يرتديها ويجلس على مرتفع وهو يراقب الحرائق، وتاجه مرمي إلى جانبه، ثم يتناول قيثارته ويبدأ في نظم قصيدة مغناة.

تتلاشى الأصوات ويستمر عرض مشاهد الحرائق بشكل صامت ويبدأ نيرون بالعزف على القيثارة والغناء.

تدخل نيرمين وتنظر إليه ملياً).

نيرون : كانت لنا صلاة

كانت لنا حياة

نورا وناراً ومياه

كانت لنا الخلدَ وفيئاً في الهجيرة

يا أمنا الكبيرة

القلب يحزن

والعين تدمع

وأنت يا شاعرُ في الآلام وحدك

فاعزف مراثيك على قيثارتك

اعزف .. فإن العزف روح الراحلين

نيرمين : أنت حزين يا نارام.

نيرون : من نارام هذا.. أنت دائماً تغلطين في اسمي يا نيرمين.

نيرمين : ماذا تريد أن أناديك؟

نيرون : أنا نيرون الحزين إمبراطور روما.

نيرمين : **(تبتسم)** وهل تظنني لا أعرف؟ أنت تذكرني بنارام سن ملك أكاد الذي دمَّر كل شيء من أجل لا شيء. كان يقول ويردد دائماً:

كل شيء هباء.. كل شيء هالك.. عبث هي الحياة.

نيرون: أما أنا فلا أقول ذلك، لدي هدف كبير في الحياة ولا بد أن أحصل عليه.

نيرمين: وما هو؟

نيرون: القمر.

نيرمين: القمر..!

نيرون: نعم.. أريد الحصول على القمر.

نيرمين: مطلب غريب، وماذا يعني لك الحصول على القمر؟

نيرون: القمر هو معبودي، ومحبوبي، ومقصدي، ومنتهى أملي.

وسيبقى مُلكي ناقصاً إن لم أحصل على القمر.

يا نيرمين ألا تعلمين أنني أسير في الليالي المقمرة بين حقول الذرة وأصعد التلال العالية وأنا أمد يدي إلى السماء أحاول أن أقطف القمر.

نيرمين: كنت تقول من قبل: سيبقى ملكك ناقصاً إن لم تحصل عليّ. وكنت أقول لك: لا تفكر هكذا يا أخي فأنا نيرمين أختك لأبيك وأمك.

نيرون: تعلمين أني أعشقك، وأعلم أنك تحبينني.

نيرمين: هذا صحيح ولكن الآلهة لا ترضى بذلك، فلها قوانينها.

نيرون: وأنا لا أعترف بها ولا بقوانينها، فأنا لي قوانيني، ثم إن أغلب الآلهة تتزوج بأخواتها، فلماذا هو حلال لها وحرام علينا؟ الفراعنة كانوا يتزوجون بأخواتهم.

نيرمين: وحصلت عليَّ فهل اكتمل ملكك؟

نيرون: كلا.. حبك يا نيرمين مرحلة لا بد منها للحصول على القمر. والقمر من غير نيرمين لا يعني لي شيئاً. ونيرمين من غير القمر رحلة بتراء.

(يعزف متنغماً بعبارات غير مكتملة محاولاً إنهاء الأغنية).

نيرمين: ما هذه الأغنية التي تؤلفها، أهي لي؟

نيرون: كلا.. لك يا حبيبتي قصائد الحب، أما هذه فقصيدة رثاء.

نيرمين: ومن ترثي أيها الإمبراطور؟

نيرون: أمي.. ألا ترينني حزيناً أبكيها، غير أن الدموع تحجرت في مقلتيَّ.

نيرمين: يا للهول..! أكاد لا أصدق.

نيرون: لماذا يا عزيزتي؟

نيرمين: أيها الإمبراطور اللغز! أنت قتلت أمك وأمَّنا، دفعت الحربة الطويلة المدببة في بطن التي ولدتك، مزّقْتَ الرحم الذي حنا عليك وأنشأك، ثم أشعلت في جسد أمك

الحرائق. انظر إلى لهب النيران في روما يرتفع إلى عنان السماء.. ثم تأتي الآن لتبكيها وترثيها وتغني على قبرها قصيدتك العاهرة.

نيرون: لا تشتميني يا أختي الحبيبة.. وأنت الوحيدة في الإمبراطورية التي تستطيع أن تقول فيّ ما تريد.

يا نيرمين كان يجب أن أفعل أشياء كثيرة لأحصل على القمر.. ألا تفهمينني؟

نيرمين: يا أخي.. تريد أن تحصل على القمر فتتزوج أختك، وتقتل أمك، وتحرق مدينتك!؟

إما أنك ساديٌّ متوحش أو رومانسي منحرف.. فما أنت؟

نيرون: لا هذا ولا ذاك.. أنا نيرون الحزين، الشاعر والمغني الجوال، في قلبي فرح ودموع، قلق وسكينة، قوة وضعف، أمل ويأس، وحزن لا حدود له.

نيرمين: ولكنك قتلت أمك أيها الإمبراطور الذي يدعي الحزن والشعر.. الناس يقولون عنك: إنك لمجنون.

نيرون: لست بمجنون، كان عليَّ أن أفعل ذلك لأحصل على قصيدة مغناة. كان يجب أن أفعلها لأعيش الحالة وأبكيها بصدق فتنداح الدموع أشعاراً وألحاناً، وهذه القصيدة هي سلّمي للارتقاء والوصول إلى القمر.

نيرمين: أيها الإمبراطور..

سيأتي بعدك أباطرة آخرون في الحكم والتجارة والمال والعقيدة، يقتلون أمهاتهم ويتزوجون سفاحاً، ويحرقون أهليهم وبيوتهم..

سيلعنهم التاريخ. ويحملون عارهم إلى أبد الآبدين.

(صمت. يتناول القيثارة ويدندن على أوتارها بإحساس متبلّد).

إني أتركك الآن لقصيدتك الزنيمة..!

(تخرج نيرمين، ويتابع نيرون العزف واستكمال القصيدة المغناة غير متأثر بعبارات نيرمين، وكأن شيئاً لم يكن).

نيرون: قمر أسودْ

قمر أحمرْ

قمر ناءٍ لا يُلمس أو يُقطفْ

لست بساحرْ

لست بمجنونٍ أو عاثرْ

أنا جوّالٌ شاعر

يرثي أمّاً

بدماها يتطهرْ

بدماها يتوضّأُ

يسكرْ

ويداه ملطختانِ

ويبغي أنْ

يتطهرْ

بدماء الأمِ

دمائكمُ

يتوضّأْ

يتطهرْ ..

يتطهرْ..

يتطهّر.

(إظلام)

- المشهد الثامن-

(نارام في غرفته وفي يديه حبل غليظ وهو يتدرب على أنواع من العقد).

نارام : هذه هي العقدة العادية.. إنها لا تصلح **(يعقد الحبل عقدة أخرى)** وهذه عقدة البحارة **(يحلها)** إنها لا تصلح أيضاً **(يعقد ثالثة)** وهذه عقدة الكشافة **(يحلها)** هناك أنواع عديدة من العقد

ولكنني أريد عقدة يكون فيها طرف الحبل حراً بحيث يمكن بوساطته توسيع وتضييق الدائرة **(يشكل الحبل بشكل دائرة لتوضع في العنق كمشنقة)** لا بد أن أصل إلى نوع العقدة المطلوبة.. عليَّ أن أجرب فحسب **(يسمع صوت حركة قادم فيخفي الحبل بسرعة. تدخل صوفيا والمسؤول الاجتماعي).**

صوفيا : صباح الخير، هل نمت جيداً؟

نارام : وهل لديَّ عمل غير النوم؟

صوفيا : سيكون لديك عمل. هذا هو الخادم الاجتماعي المسؤول عن جميع دوائر الشؤون الاجتماعية.

المسؤول الاجتماعي: صباح الخير سيد نارام.

نارام : أهلاً بك، أرجو أن تجد لي عملاً مناسباً.

المسؤول الاجتماعي: سيكون لك عمل مناسب. ماذا كنت تعمل في حياتك السابقة؟

نارام : تقلبت في أعمال عدة، آخرها كان لدي محل للصرافة والتحويل.

المسؤول الاجتماعي: ماذا تقصد بالصرافة والتحويل؟

نارام : استبدال النقود بالقطع الأجنبي وبالعكس.. عملية شراء وبيع. أما التحويل فهو تحويل مبالغ مالية من مكان إلى آخر لقاء عمولة محددة.

المسؤول الاجتماعي: آسف هذه الصنعة لا تنفع هنا.

نارام: لا تنفع! ولماذا؟

المسؤول الاجتماعي: نحن لا نتعامل بالنقود .. لقد ألغينا النقود؛ ولهذا لا يوجد لدينا صرافة ولا بنوك ولا تحويل.

نارام: ولهذا حين بحثت في النت عن موقع أسعار العملات الأجنبية لم أعثر عليه، ولكن هذا غير معقول..! لم أسمع ببلد لا يتعامل أهله بالنقود.

المسؤول الاجتماعي: لم يكن الإنسان البدائي يتعامل بالنقود.

نارام: ولكنكم حضاريون، وفي غاية التقدم فلماذا فعلتم ذلك؟

المسؤول الاجتماعي: أحيل السؤال إلى الدكتورة صوفيا لتجيب، فهي اختصاصية بعلم النفس الاجتماعي.

صوفيا: تبين لنا أنه منذ أن سادت في المجتمعات وفي العالم غريزة التملك كثرت الحروب والفتن والصراعات والجرائم.

لقد ظهر الوجود من لجة العماء بالقتل(*)، وظهرت مظاهر الحياة الأولى بالقتل(**)، وارتبطت حياة الإنسان بالقتل، ولاحظ الإنسان أن استمرار وجوده يعتمد على

(*) إشارة إلى أسطورة مردوخ حين شق تعامة (ربة العماء) إلى نصفين وصنع منها السماء والأرض.

(**) إشارة إلى أسطورة مردوخ حين ذبح كينغو زوج تعامه وجبل دمه بالتراب فصنع الإنسان.

القتل. وكان ارتباط القتل بغريزة التملك ارتباطاً عضوياً. وقد تبين لنا أن النقد هو الأساس الأول للتملك والثراء الفاحش. إذ لم يعد المرء قانعاً بتأمين احتياجاته وحتى أسباب رفاهيته فحسب وإنما راح يكدس الأموال ويستغل الآخرين من أجل مضاعفة ثرواته. وإن أغلب الحروب التي اشتعلت في العالم كانت أسبابها اقتصادية، التملك هو مفجرها. أضف إلى ذلك أنه قد حُلَّت لدينا بإلغائنا التعامل بالنقد جميع مشاكل العمل باعتبار أن الأمة هي المنتج الوحيد لجميع السلع، وقد أحللنا نظام التوزيع المباشر من المخازن الأهلية بدلاً من التجارة وبذلك بطلت الحاجة إلى النقود.

نارام: إذا كنتم قد ألغيتم النقود فبماذا تتعاملون؟

المسؤول الاجتماعي: نتعامل بتبادل السلع أحياناً.

نارام: كالإنسان البدائي تماماً.

المسؤول الاجتماعي: وببطاقات الاعتماد.

نارام: ولكن بطاقة الاعتماد كما هي في بعض الدول المتقدمة لدينا مؤسسة على الشريحة النقدية.

المسؤول الاجتماعي: صحيح. أما بطاقة الاعتماد لدينا فمؤسسة على شريحة العمل.

نارام: وكيف؟

المسؤول الاجتماعي: العمل هو النقد المتداول هنا، والذين يعملون يحصلون على بطاقات اعتماد متنوعة، وليس هنالك من قادر على العمل ثم لا يعمل. والأعمال الفكرية هي أرقى أنواع العمل، ومن هو بانتظار تكليفه بالعمل لديه بطاقات اعتماده، وباختصار لدى كل مواطن بطاقات اعتماد، ويستطيع المرء الحصول أيضاً بهذه البطاقات على ما يريد من أية دولة في أنحاء العالم. إنها بمثابة الشيك أو القطع النادر.

نارام: وكيف يستخدمها؟

المسؤول الاجتماعي: يكفي أن يبرزها أمام أي بائع أو مخزن تجاري أو غير ذلك ويحصل على ما يرغب شراؤه، وتسجل مشترياته في صفحته عند إدخال البطاقة في الآلة الإلكترونية.

صوفيا: وقد أحضرنا لك بطاقات اعتمادك. تستطيع منذ الغد أن تخرج إلى المدينة وتمارس نشاطاتك.

المسؤول الاجتماعي: (يسلمه البطاقات) هذه هي بطاقاتك، وسنهيئ لك العمل الذي يناسبك.

صوفيا: (تسلمه بطاقة منفردة) في هذه البطاقة عنوان البيت الذي ستسكن فيه إلا إذا كنت تفضل الاستمرار في الإقامة هنا وتبقى عزباً، وما أظنك تفضل ذلك.

نارام: شكراً ولكن أرى أنني لن أحتاج إلى البيت.

المسؤول الاجتماعي: إذن ستقيم هنا.

نارام: كلا.. إنني أفكر.

صوفيا: سأمر بك مساء لأصحبك حيث يخرج الناس جميعاً إلى ظاهر البلد كل أسبوع قبيل الغروب يتعارفون ويتسامرون، وبعد مغيب الشمس يؤدون معاً صلاة الشكر ثم يعودون إلى منازلهم. سنصلي وندعو دعوات مشتركة أنا وأنت.

نارام: هل أنتم مجتمع متدين أو متشدد؟

صوفيا: لا هذا ولا ذاك. نحن مجتمع سليم متوازن، فبالإضافة إلى الصلاة الجماعية نحن أيضاً نقيم في الملعب البلدي حفلات رقص وتعارف عامة ترقص فيها النساء متزينات متبرجات أو شبه عاريات لتكنَّ جذّابات ويستطيع الرجال اختيار زوجاتهم، وتستطيع النساء اختيار أزواجهن. كلٌ يُظهر بصدقٍ سلوكَه وحقيقتَه الداخلية ومفاتنَه وحقيقتَه الخارجية، وهذه الحفلات منشطة للجنس وللإقبال على الزواج ولتحسين النسل باختيار كل جنس الأفضلَ من الجنس الآخر. هذا بالإضافة إلى الاختبارات النفسية والطبية والاجتماعية الدقيقة على الزوجين قبل الزواج.

كما أننا للارتقاء بالوعي الجمالي وبالذائقة العامة، ولتهذيب النفوس وصقلها بالموسيقا والجمال أقمنا في بيوت المواطنين غرفاً خاصة تصلها جميع أنواع الموسيقا بالإضافة إلى شاشة تعرض جميع مظاهر الجمال في الكون والطبيعة والإنسان. وهذه أيضاً نوع من العبادة الكلي للجمال غير العبادة التقليدية المعروفة.

المسؤول الاجتماعي: باختصار إن الذي يسود في مدينتنا الفاضلة هو الجمال والحرية والهدوء والسعادة والنساء الفاتنات والرجال الأنيقين. ونحن لسنا دعاة فلسفة مادية فالسعادة لدينا لا علاقة لها بزيادة الإنتاج أو بالتقدم الصناعي.

نارام: هذا أمر مثير!

وصلاة الشكر التي ستقيمونها اليوم كيف هي وما هي؟
وهل تحضرها النساء عاريات أم محتشمات؟

صوفيا: محتشمات طبعاً.. ولكل مقام مقال كما يقولون.

نحن نشكر الله على ما أنعم علينا من أمن واستقرار وعيش طيب وفرح، أما الصلاة فهي مجرد وقفة تأمل وصمت.. نحن نصلي لله ولأمنا الطبيعة المعطاء.

نارام: أمن الضروري أن أخرج معكم؟

صوفيا: نحن لا نجبر أحداً.. المواطن في عين تسنيم يتمتع بالحرية المطلقة.

نارام: كنت أمزح.. هل أرفض دعوة لمصاحبة فاتنة مثلك إلى الخروج!؟

صوفيا: شكراً لإطرائك.. ثم إن خروجك مفيد لك للتعرف على المدينة وأهلها وبخاصة وأنك أصبحت مواطناً فيها.

المسؤول الاجتماعي: أهلا بك مواطنا في عين تسنيم يا عزيزي نارام.

صوفيا: إلى اللقاء مساء.

نارام: إلى اللقاء. **(تخرج ويتلكأ المسؤول الاجتماعي).**

المسؤول الاجتماعي: لاحظت أنك تحب صوفيا.. هل تفكر بالزواج منها؟

نارام: أحبها حقاً، ولكن كيف أفكر بالزواج منها وبيني وبينها دهر طويل، أنا أكبرها بألف عام.

المسؤول الاجتماعي: هي تحبك، وأنت تعقِّد المسألة كثيراًً.

نارام: يا سيدي، كل الذين ناموا وأفاقوا بعد دهر طويل لم يستطيعوا التلاؤم مع المجتمع الجديد فعادوا إلى كهفهم.

المسؤول الاجتماعي: تلك حكايات للعبرة والإيمان يا عزيزي نارام، أما أنت فحقيقة متفردة.

نارام: سأفكر بالأمر.

المسؤول الاجتماعي: الحب لا يحتاج إلى تفكير سيد نارام.

(يصافحه ويخرج).

(إظلام)

- المشهد التاسع -

يتناول نارام دفتر مذكراته ويقرأ فيه صفحات من مذكراته، تضاء شاشة العرض وتنعكس عليها اليوميات ومشاهد مواكبة لها، وعلى زاوية الشاشة العليا تقلب الصفحات).

الأحد ٢٠١٥/٧/١٢

(على الشاشة تعرض جِنان بشكل طبيعة صامتة وأسلوب تعبيري، وألوان باردة تبعث الضجر. نسمع صوته وهو يتلو مذكراته).

– أعتقد أنني أعيش حالة وهم، أو أنني في حلم مستمر.

حلمت أمس أنني نمت ألف عام ثم استيقظت فإذا الدنيا قد تغيرت، وعاد الفردوس المفقود إلى الأرض، فَرِحت، ثم طال بي الزمن وأنا في وضع أقرب إلى السكون واللاحركة، كل شيء موفور، حتى الأشجار دانية القطوف تمد يدك وأنت متكئ فتقطف ما تريد من الثمر، وثمة

كؤوس مترعة، وأنهار من خمر ولبن وعسل مصفّى، وفتيات فاتنات متبرجات وعاريات أصبح منظرهن بارداً مكروراً ومبتذلاً.

لقد فقد الفرح وظيفته وماهيته فصار مملاً مضجراً. حاولت الهرب من هذا الفردوس الخامد، ولكن كان هنالك رجال غلاظ شداد على الأسوار يذبونني بعصيهم.

(على الشاشة خارطة مرسومة بالأسلوب التعبيري مشوهة منطمسة المعالم وقد انتهشت أطرافها، تُقلب صفحة).

- حلمت بجثة تمتد وتمتد فوق السهول والجبال والبحار والأنهار.. تمتد إلى ما وراء حدود النظر. وهذه الجثة تتناهشها الكلاب والذئاب والضباع وأكلة لحوم البشر.

سألت من هؤلاء فأجابني رجل عجوز أعمى عابر سبيل: أيها الغافل عن أمره هؤلاء هم إخوتك، وهذه الجثة هي جثتك، ألا تعلم بأن البشرية منذ أمد طويل وهي تتناسخ وتتماسخ حتى تحول البشر إلى حيوانات مفترسة وقوارض تقودها حيوانات منقرضة عادت للظهور ثانية على سطح الأرض.

(صورة مصباح سحري قديم على الشاشة «سراج من فخار»، وتُقلب صفحة جديدة).

- حلمت بأنني عثرت في موقع أثري على المصباح السحري. تلوت كلمات سرية لقنها لي هاتف مجهول وفركت المصباح فتحرك واهتز وتصاعد منه دخان أسود تكاثف فصار مارداً عملاقاً.

(صورة الدخان ثم المارد على الشاشة، والحوار يتم بين نارام كشخصية حية والمارد كشخصية على الشاشة).

المارد: (في برود وتثاقل) شبيك لبيك عبدك بين إيديك اطلب تُعطَ **(يتثاءب نعساً، ويفرك عينيه ليستيقظ)** من استدعاني وأفسد عليَّ قيلولتي؟

نارام: أنا يا مارد المصباح، ثم إن الشياطين لا تقيل، فهل لك أن تحقق لي ثلاث رغبات كما تقول الحكايات الشعبية؟

المارد: (وقد صحا من نعاسه) ومن غيري يستطيع ذلك؟ أنا الذي بنيت لسليمان قصراً ممرداً من قوارير، وأنا الذي أحضرت عرش بلقيس في طرفة عين، فهات رغباتك الثلاث يا صاحبي.

نارام: يا مارد المصباح، أحلم أحلاماً غريبة وتنتابني الكوابيس، حتى ما عدت أفرق بين الحلم والحقيقة للشقاء الذي يلازمني، أريد أن تصلح لي العالم وينتهي الفساد والإفساد في الأرض لأستطيع النوم بلا كوابيس.

المارد: ما ذلك في يدي يا صاحبي، ألم تعلم بأن الله أرسل آلاف الرسل والأنبياء والحكماء ليصلحوا العالم، وكانت النتيجة أن هذا العالم يزداد سوءاً.. هات الثانية.

نارام: أريد إذن أن تدمر هذا العالم لأنه شاخ وهرم، ولأتخلص من شقائي وكوابيسي ويتخلص الناس من بؤسهم وشقائهم.. لقد فسد هذا العالم وأنتنت جثته.

المارد: وليس ذلك بيدي أيضاً، كم من مرة دمر من هو أقوى مني القرى لفسادها وضربها الرب بالطوفان ليطهر الأرض ومن عليها، فكان الفساد سرعان ما يعود إليها من جديد.. هات الثالثة.

نارام: إذن أريد أن تطلعني على الغيب فأنتم المردة ترتقون إلى السماء الدنيا وتسترقون السمع عن بعض ما يجري في السماء السابعة وما سيجري على الأرض.

المارد: وليس ذلك بيدي أيضاً، فمنذ أن وضع الله الشهب الثاقبة رصداً لملاحقتنا وإحراقنا ونحن لا نستطيع أن نسترق السمع.

ماذا تريد غير هذا لأحققه لك؟

نارام: قبحك الله من مارد فاشل، أريدك أن تغرب عن وجهي أيها العاجز.

(تختفي صورة المارد من على الشاشة، وتعود فتنطبع الذكريات عليها).

- عادت فكرة الانتحار تراودني وأنا أرى كل الطرق التي تؤدي إلى السلام وعودة الحياة إلى ما كانت عليه مغلقة.

(تقلب صفحة جديدة).

الجمعة ٢٠١٥/٧/١٧

- لا بد من تشييع عدد من القتلى يومياً، وصار اسم الشهادة يتردد مع كل شهيق وزفير حتى فقد معناه، والجميع مهدد بالتهجير والجوع والموت على الأرصفة، وأنا أحمل همّي وهمَّ هذا البلد المنكوب. وصدق الشاعر الذي جاء قبل ألف سنة حين يقول:

تعـــبٌ كلهـــا الحيـــاةُ فمـــا أعجب إلا من راغبٍ في ازدياد

إن حزناً في ساعة الموت أضعا فُ سرور في ساعة الميلاد(*)

(تُقلب صفحة أخرى من المذكرات).

(*) المعري.

– ليلة أمس وكان القمر في المحاق حلمت بأنني ملك أشور يجر عربتي أحد عشر ملكاً ممن داست بلادهم جيوشي.

(تظلم شاشة العرض).

- المشهد العاشر -

النمرود ورقصة النار الأفعوانية

(تتغير الإضاءة لتدل على العودة إلى زمن تاريخي معين في الحوار وتصبح إضاءة خفيفة وشاحبة جداً، والشخصيات تعمل من وراء الستارة الشفافة فتبدو كأطياف.

نيرمين من خلف الستارة ترقص رقصة النار الأفعوانية.؟

يدخل نارام، يتوقف ويتابع الرقصة بإعجاب).

نارام: أحسنت يا نيرمين، إنها رقصة رائعة.

نيرمين: يسرني أنها أعجبتك يا نارام.. إنها رقصة النار الأفعوانية.

(يتجه نحو المشجب ويتناول الثياب التاريخية ويرتديها، يضع التاج على رأسه يمسك برمحه الطويل وبالصولجان، ويجلس على العرش، إنه الآن في شخصية النمرود ملك آشور).

النمرود: (ينظر إليها بصمت) ومن نارام هذا يا نيرمين، أنت تتعمدين الخطأ في اسمي.

أنا النمرود ملك آشور، ولي الأسماء الحسنى كلها.

نيرمين: للرب وحده الأسماء الحسنى كلها.

النمرود: ومن أكون أنا إذن؟ الرب يحيي ويميت وأنا أحيي وأميت، الرب يرزق الناس أو يفرض عليهم الجوع، أنا أرزق من يطيعني وأحرم من يعصيني.

نيرمين: (تبتسم) مهلاً أيها الملك، هذا كلام تقوله للقطيع فيتبعونك ويعبدونك. الرب أيها الملك يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب إن استطعت.

(النمرود يبهت ويظل صامتاً).

النمرود: لولا أنني مفتون برقصك يا نيرمين لأمرت بسلخ جلدك.

نيرمين: هذا ليس برقص وإنما هو تعبير بالجسد وابتهال وعبادة. عندما تعجز الكلمات عن التعبير عن الأفكار والعواطف فإن للجسد بيانَه ولغتَه وسحرَه وابتهالاتِه.

النمرود: أنا مفتون بالجسد فقط، بكل تقاطيع الجسد، ولا تهمني لغة الجسد.

أريد رقصاً بلا تعبير ولا فلسفة، رقصاً شبقاً يهيج الغريزة. ارقصي لي مثل هذه الرقصة ومريني أن أقطع لك رأس من تريدين.

نيرمين: لا يوجد في نينوى الآن أنبياء لتقطع رؤوسهم، ولست كتلك الراقصة العاهرة سالومي التي طلبت من الملك قطع رأس النبي يحيى.

النمرود: **(يضحك)** أنا أهوى بناء المحارق أما قطع الرؤوس فقد تركته للملوك الصغار. الآلهة وحدها تحرق بالنار وأنا أحرق بها. لقد بنيت محارق جميلة في نينوى(*) وبنيت محارق عديدة في سورية: محرقة في كركميش وأخرى في شبات إنليل، أما الثالثة فبنيتها في حرّان(**)، وأعجزني رجل هناك اسمه أبرام يدعي أنه نبي، ومن الغريب أنه جلس وسط المحرقة والنيران مشتعلة وراح يأكل رغيفاً من الخبز كان في جيبه وهو يسخر منا.

نيرمين: لعله نبي فعلاً.

النمرود: كلا.. أظنه ساحراً.

نيرمين: ليس بساحر، لقد تقصيت أخباره.

النمرود: **(ساخراً)** بماذا تقصيت أخباره؟ بجسدك الفاتن يا نيرمين، أم برقصك الداعر؟

(*) نينوى عاصمة آشور في العراق.

(**) كركميش(جرابلس)، شبات إنليل (على الخابور)، حران في جنوب تركيا حالياً، وجميعها مدن سورية.

نيرمين: أنت تسخر من جسدي ورقصي! ألا ترى أن الكواكب والنجوم وكل ما في الكون تصلي بأجسادها وأجرامها، وترقص بدورانها وسعيها أمام معبودها ومحبوبها، يحركها العشق الأزلي؟ ولو توقَّفَت عن الرقص والسباحة في أفلاكها لحظة لانهار نظام الكون.

النمرود: **(مستمر في السخرية)** ما كنت أعلم أنكِ قد أوتيت الحكمة مثل كهنة آشور.

وهل صوتك جميل أيضاً كرقصك.

نيرمين: نعم هو جميل أيها الملك.

النمرود: **(ساخراً)** لماذا لا تأخذين إذن مكانك أيضاً مع أورنينا مغنية معبد عشتار؟

نيرمين: لا تسخر أيها الملك، فأنا أيضاً مغنية في المعبد، وصوتي أجمل الأصوات، ولكنك عندما تزور المعبد فإنك لا تستقبله بقلبك ولا بعينيك؛ فأنت تدخل المعبد بعد كل غزوة تغزوها لتصلي لعشتار ويداك مضرجتان بدماء.. تدخل بكل خيلائك وقسوتك فلا تحس ولا ترى ولا تسمع.

النمرود: إن لم تكفّي لسانك الطويل أمرت بإحراقك أيتها العاهرة.

نيرمين: تعلم أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك فأنا منذورة لمعبد عشتار.. وأنا.. أنا عشتار..أنا عشتار أيها الملك. **(صورة عشتار على الشاشة).**

(يتصاعد دخان خلال إنشاد المقطع التالي وتسيطر المهابة على الجو والجزع في عيون الملك.

ونيرمين تؤدي المقطع التالي بإيقاع ترتيلي وطقس جليل مع الصدى).

أنا الأول .. وأنا الآخر

وأنا البغيّ .. وأنا القديسة

وأنا الزوجة .. وأنا العذراء

وأنا الأم .. وأنا الابنة

أنا العاقر .. وكثيرون هم أبنائي

أنا في عرس كبير .. ولم أتخذ زوجاً

أنا الحامل .. ولم أنجب أحداً

وأنا المولودة .. ولم تحبل بي أمي

وأنا الأم .. وأنا الابنة

أنا العروس.. وأنا العريس

وزوجي هو من أنجبني

أنا أم أبي .. وأخت زوجي

وزوجي هو من نسلي(*).

النمرود: نعم.. أعلم يا نيرمين أنك من بغايا المعبد، وأنك أكثرهن جمالاً وجاذبية، وأنت المسؤولة عنهن. وأعلم أنك في طقوس المعبد وأعياده تمثلين دور عشتار التي تقتل تموز بنظرة منها وترسله إلى عالم الموتى ثم تنهض فتحييه.

نعم أعلم ذلك ولولا أنك مقدسة لأمرت بـ ..

نيرمين: لأمرتَ بإحراقي!

هون عليك أيها الملك النمرود، فالقوي ليس الذي يأمر بإشعال الحرائق وإنما هو الذي يأمر بإطفائها. والملك العظيم ليس الذي يسلخ جلود الأسرى كما تفعل أشور وإنما هو الذي يأمر بإخلاء سبيلهم وعودتهم إلى أهلهم. والملك العادل ليس الذي يقتلع شعوباً بأكملها كما تفعل أنت ويرميها في العراء ليحل محلها شعوباً أخرى وإنما هو الذي يمنح جميع الشعوب الأمن والاستقرار وكفاف عيشهم.

(*) من تراتيل عشتار لحبيبها تموز بتصرف.

النمرود: ولكن أيتها البغيّ المقدسة بقسوتي وشدتي وحزمي في الحكم أضمن عدم تمرد هذه الشعوب. لقد كان لي جيشان: جيش من الرعب يسبقني إلى العدو، وجيش من آشور والقبائل الأخرى يسير معي بسلاحه وعتاده وهنا يكمن سر انتصاراتي حتى وصلت البحر وخضت مياهه بفرسي واحتللت الجزر البعيدة، وأخضعت الشعوب القوية من أرض عيلام إلى جبال الأرز.

نيرمين: هي مملكة قائمة على الوهم والظلم والقهر وإخضاع الشعوب الآمنة. لقد جزت بغزواتك ما بين المشرق والمغرب، وملكت العالم، لكنك لن تستطيع أن تديره ولا أن تدبر أمره، وسينهار كل شيء بعد جيل أو جيلين، وستغدو مملكتك مجرد درع حديدي غليظ صدئ داخله جثة متفسخة.

كلما امتدت مملكتك واتسعت ازداد أعداؤك والمتمردون عليك لأن مملكةً تقوم على القسوة وإذلال الشعوب لا يمكن أن تستمر. لو أن قلبك لم يكن قاسياً لعرفت كيف تكسب ود أهلك والشعوب الأخرى.

النمرود: أعترف بأن قلبي قاس كالصخر وتلك هي تربية الملوك. كيف لي أيتها الفاضلة أن يكون قلبي عذباً كالفرات رقيقاً كالنسيم؟

نيرمين: تستطيع ذلك بالمواظبة على السماع: الموسيقى والغناء.

النمرود: أحن إلى السماع، ولا تنسي أن جزءاً مني مقدس فأنا ابن بغي من بغايا المعبد، وتلك التراتيل المقدسة كنت أسمعها وأنا في رحم أمي.

نيرمين: هل تريد أن أسمعك شيئاً من الغناء والموسيقا.

النمرود: أود ذلك أيتها المقدسة، ولكن كفّي لسانك الطويل عنّي يا نيري.

نيرمين: **(تتناول القيثارة وتبدأ بالعزف)** سأغني لك فالغناء يجلو البصائر ويفتح الأعين على المصائر، وبه وبالموسيقا تتهذب طباعك أيها الملك.

(تعزف وتغني).

غداً يا ملك آشور القوي

يظهر أمامك مارد أسود معتم الوجه

ملامحه كطائر الزوو(*)

ومخالبه كمخالب العقاب

(*) طائر الزوو: طائر أسطوري متحجر، يستيقظ كل مائة عام مرة واحدة ليدمِر العالم.

يثب عليك

فيتمكن منك

ثم يغوص بك في أعماق الجحيم

- افتح يا حارس البوابة

- افتح الباب يا نيتي

- افتح يا كبير حجاب العالم الأسفل

- لقد جئتك بمَلِك آخر

- لقد خلع أمام بابك تاجه وصولجانه ودرعه وسيفه وثيابه حتى أصبح عارياً تماماً كما ولدته أمه.

- افتح يا نيتي.. افتح

وعندما يصر الباب

يا ملك آشور القوي

سيقوم المارد الأسود بتحويل شكلك

فذراعاك سيكسوهما الريش

ثم يقودك إلى بيت الظلام

إلى مسكن أرجالا

إلى دار لا يرجع منها داخل أبداً

وسيقوم زبانيتها بتعليقك كخرقة بالية
على مسمار في جدار عالم الظلمات(**).
(إظلام)

- المشهد الحادي عشر -

(في غرفة نارام في المشفى صوفيا ومسؤول التخطيط والمسؤول الاجتماعي يفحصون في جوانب الغرفة يحاولون الحصول على أية معلومات مفيدة حول اختفاء نارام).

مسؤول التخطيط: هل وجدت شيئاً لعله يفيدنا عن مكان وجوده؟

صوفيا: كلا.. هذا فنجان قهوته بارد وجاف يدل على أنه غادر الغرفة منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة.

مسؤول التخطيط: (يفحص ملفات في الآيباد) يبدو أنه كان يستعرض بعض البرامج لفترة من الزمن.

صوفيا: (تبحث في بعض الأدراج) لقد اختفى دفتر مذكراته.

المسؤول الاجتماعي: (يستعرض بعض الصور في حاسب يدوي صغير محمول) الصور التي التقطتها كاميراتنا المخفية في الغرفة تفيد بأنه خرج من الغرفة في الخامسة

(**) عن مقالة أنكيدو في ملحمة جلجامش بتصرف.

صباحاً ولم يعد، وها هي صورته **(يتجمعان حوله ليتابعا الصورة)** وهو يحمل دفتر مذكراته معه ويضعه في جيبه ثم يجلس ويكتب شيئاً في صفحة منفردة ويضعها في جيبه.. يبدو أنه كتب رسالة ما.. لا أدري لمن.. يبدو أنه غيَّر رأيه، هاهو يخرجها من جيبه ويرميها في سلة المهملات.

(صوفيا تسرع إلى السلة وتفرغها على الطاولة وتتناول منها قصاصة ورق).

صوفيا: ها هي الرسالة **(تقرأ)** شكراً لحسن الضيافة والرعاية، ولكن يبدو أن حضارتكم العظيمة لم تتخل عن تجسسها على مواطنيها.

(الجميع يتبادلون النظر بصمت ودهشة، صوفيا تسلم الرسالة إلى المسؤول الاجتماعي وتنظر إليه باتهام وغضب).

المسؤول الاجتماعي: كان يجب أن نفعل ذلك، هذه ضرورات الأمن الوطني **(صمت)**. على كل هنالك فقرة خاصة بك **(يقرأ)** أجمل وأصدق ما في مدينتكم هي الدكتورة صوفيا، ولولا أنه يفصلنا عن بعض ألف عام لكان للقلب شأن آخر.

(يرن جرس هاتف صوفيا الجوال، تضغط على المايك الخارجي ويسمع صوت رجل الآثار).

صوت مسؤول الآثار: (صوته فقط) ألو دكتورة صوفيا معك خادم الآثار.

صوفيا: أهلاً بك، هل من أخبار حول السيد نارام؟

صوت مسؤول الآثار: لقد وجدنا آثار السيد نارام، يبدو أنه جاء إلى هنا، إلى الموقع الأثري الذي عثرنا فيه عليه.

دكتورة صوفيا إنه غير موجود يبدو أنه انتحر، حبل المشنقة ما يزال معلقاً في سقف الغرفة غير أن الجثة اختفت.. أمر غريب حقاً.

دكتورة صوفيا ثمة أمر آخر ويدعو إلى الدهشة حقاً.

صوفيا: وما هو هذا الأمر؟

(يظلم المسرح وبقعة ضوء على رجل الآثار يتحدث في الهاتف يمين المسرح على خط المنظر).

مسؤول الآثار: ظهر رجل آخر في المكان نفسه، يبدو أنه نائم أيضاً أو في حالة إغماء. أو في حالة سبات شتوي طويل، لا نستطيع أن نقدر كم مضى عليه وهو في هذه الحالة، ولكنه حي بالتأكيد بالرغم من أنه يتنفس ببطء

شديد، وقلبه ما يزال ينبض نبضات ضعيفة متباعدة جداً، لكن جسمه لا يتحرك، حاولنا إيقاظه فلم نستطع.

لقد قدرنا أن في الأمر شيئاً نفسياً أو فيزيولوجياً أو أمراً لم نستطع تقديره ولهذا اتصلنا بك دكتورة صوفيا، واتصلنا بأطباء وباختصاصين علميين آخرين.. عفوا.. تسألين عن عمره..؟.. هو رجل في حوالي الخامسة والثلاثين، حتى الآن لم نجد معه ما يثبت هويته.

لقد قمنا بنقله مع محتويات غرفته إلى المشفى في غرفة خاصة في انتظار قدومك.. شكراً دكتورة.

نحن بحاجة إليك، أرجو أن تحضري.

- ستارة النهاية -

حلب ١/شوال/ ١٤٣٦

١٧/تموز/٢٠١٥